عقب خلق اسرائيل ونتائجه المأساوية ، أخذ ينبوع الموضوعات الفلسطينية بالطفح ، ولا سيما بالنسبة لتلك الموضوعات التي لم تستخرج تماما من منابعها . ولم تجر متابعة الموضوعات السابقة بأسلوب مكثف فحسب ، بل أخذت تتبدى قضايا جديدة وأفكار جديدة ورموز جديدة في الادب خلال العشرين سنة الاخيرة . فالرؤيا النبوئية عن خسارة فلسطين للعدو ليست الان رؤيا ، بل هي واقع . هناك حوالي المليون من الفلسطينيين ، ومن بينهم اولئك الكتاب أصحاب النبوءات ، يجدون أنفسهم لاجئين في بلاد عديدة . ولقد كان من الحتمي ان يتكرس الكثير من الادب الجديد لموضوعات من طراز استعادة الفردوس المفقود ، ومصير اللاجئين والعذابات الجسدية والعاطفية والروحية التي تتخلل حياة العرب المقيمين في اسرائيل . ان هذه الموضوعات واخرى متصلة بها تنعكس في أعمال الكتاب العرب عموما أو يجري تناولها في تلك الاعمال . ومع ذلك ، فانه يستحسن ولوجها من ثلاث وجهات نظر مختلفة ، كما يلي : موضوعات النفي والتشرد الفلسطيني ، وموضوعات العرب في اسرائيل ، والعرب غير الفلسطينيين . تتميز كل مجموعة من هذه الموضوعات بنبرة سائدة ، هي على التوالي : التوق والمقاومة والنقد الذاتي .

ـ أ ـ

يشدد أدب المنفى بطبيعة الحال على حس من الاغتراب وشعور عميق بالحنين . وكما ألمح عبد اللطيف الطيباوي في مقالته عن « رؤى العودة »(٢٢) (١٩٦٣) ، فان العاطفة العربية الحاضرة لا تقل في زخمها وشدتها عن المشاعر التي يعرب عنها ناظم المزامير اذ يرنم قائلا : « ان نسيتك يا اورشليم تنس يميني ليلتصق لساني بحنكي ان لم اذكرك ، ان لم أفضل اورشليم على أعظم فرحي »(٢٣) . (المزمور ١٣٧ : ٥ ـ ٦) .

ثمة قصائد لا تحصى ، وكثير من القصص القصيرة والروايات والمسرحيات التي تعمد باستمرار الى ابراز صور الماضي وذكرياته التي ما زالت نضرة وحية . كما تصف في الوقت نفسه آلام اللاجئين وعذاباتهم . ولكي أمثل على هذا الموضوع ، سوف أشير باختصار الى آثار عدد من الكتاب البارزين . ان محمود الحوت ـ وهو من مواليد يافا ، وتلقى تعليمه في الجامعة الاميركية في بيروت ـ كان من بين الاوائل في تكريس قصيدة طويلة بعنوان « المهزلة العربية » (بغداد ، ١٩٥١) لتجربته الجديدة كـ «عربي فلسطيني ضائع في بلاد أخرى » . تتألف هذه القصيدة من ٢٨ مقطعا في ثمانية أسطر للمقطع الواحد ، وتشمل عددا من الموضوعات التي تتراوح بين شجاعة الفلسطينيين في الدفاع عن وطنهم بمفردهم وبين الوصف الساخر لـ « الدول العربية الجبارة وعددها سبع دول » في محاولتها الرامية الى انقاذ فلسطين . لكن القصيدة تتميز على الاخص برؤيا الشاعر الحنينية والزاخرة لبلدته الام ـ يافا ـ وفردوسه المفقود . وعلى غرار شعراء اخرين من قبله ، أو من بعده ، يكرر الحوت وضع فلسطين على قدم المساواة مع جنة الله . ففي هذا الصدد يردد الكتاب العرب الفلسطينيون صدى أحاسيس أعرب عنها اوائل المستوطنين اليهود بفلسطين . ان يشوع بارزيلاي (١٨٥٥ ـ ١٩١٨) ، مثلا ، ينقل عنه القول التالي : « انني عاجز عن وصف الاشجار في أرض اسرائيل ، وكيف لي ان أتحدث عن جمال اشجار النخيل ، واشجار الزيتون والتين ... اذا كانت الجنة تشبه اريحا ، فانها حتما رائعة الجمال(٢٤) » .

واذا كان بارزيلاي واخرون من أبناء جيله قد حركهم مناخ توارتي على الشعور البديلي بجمال البلاد المصطنع ، فان الشعراء العرب يتملكهم جمال بلادهم الطبيعي ، وتستحوذ عليهم ذكراها الحية في نفوسهم ، كما يزخرون بوفرة من التجارب الحقيقية لمناظرها